

العمارة الدينية في الفترة التركية في السودان (1821 - 1885م)

كلية الآداب - جامعة الجزيرة

أ. إنعام إبراهيم نعم السيد يوسف

مستخلص:

تعتبر الفترة التي حكم فيها الأتراك العثمانيين السودان للمرة الثانية من أهم الفترات التاريخية التي مرت علي البلاد. إذ أنها تمثل بداية تاريخ السودان الحديث، حيث تم خلالها إخضاع السودان تحت إدارة مركزية واحدة لأول مرة في تاريخه التي تعد أساس وحدة السودان اليوم. وفي هذه الدراسة يتم تناول المباني الدينية التي أنشأها الأتراك خلال حكمهم للسودان في الفترة من (1821-1885م)، والتي اشتملت على دراسة آثار المساجد والخلوي التي تم إنشائها في الخرطوم والمساجد التي أنشئت في كل المدن التي اتخذت كعواصم للمديريات، إضافة إلى الخلوي والقباب والأضرحة التي اختلفت وظيفتها عن القباب في فترة مملكة الفونج. كما أشارت إلى مباني الكنائس التي أقيمت للجاليات والأجانب مثل الكنيسة القبطية والكنيسة الكاثوليكية. لم تجد الفترة التركية حظها من الدراسة المادية أو الأثرية كغيرها من الفترات التاريخية في السودان بشكل عام والمباني الدينية بشكل خاص. وقد عانت هذه الفترة من الإهمال مما أدى لتدهور بعضها وإزالة البعض ليحل محلها مبنى آخر، وذلك بحكم تعدد الأنظمة التي أتت فيما بعد. هدفت الدراسة للتعرف على المخلفات الدينية للفترة التركية في السودان من 1821-1885م. استخدمت الباحثة المنهج التاريخي، الوصفي، والتحليلي والمنهج المقارن. توصلت الباحثة إلى عدة نتائج: أن الأتراك العثمانيين كانت لديهم خريطة موضوعة مسبقاً لتخطيط المدن وطرز المباني الدينية. اهتمت الحكومة التركية ببناء المساجد والخلوي وجلب المشايخ والإهتمام بهم من أجل توطيد دعائم الدين الإسلامي والمنهج السني في السودان، إضافة إلى كسب ثقة الأهالي. عاملت الحكومة التركية المواطنين مبدأ حرية الأديان لذلك قامت ببناء الكنائس للأجانب الذين استوطنوا في السودان.

Religious architecture in the Turkish period in Sudan (1821-1885AD)

Inaam Ibrahim, Neam Aseed Yousif

Abstract:

The period when the Ottoman Turks ruled Sudan for the second time is considered one of the most important historical periods the country has gone through. It represents the beginning of Sudan's modern history, during which Sudan was placed under a central administration for the first time in its history, forming the basis of Sudan's

unity today. This study discusses the religious buildings constructed by the Turks during their rule over Sudan in the period (1821-1885 AD). This includes an examination of the impact of the mosques and cells erected in Khartoum, and the mosques erected in all the towns taken as directorate capitals, in addition to the cells, domes and shrines. Their function was different from that of the domes during the Funj Kingdom. It also referred to the church buildings built for congregations and foreigners, such as the Coptic Church and the Catholic Church. The Turkic period has not been as intensively studied materially or archaeologically as other historical periods in Sudan in general and religious buildings in particular. This period suffered from neglect, which resulted in some of them falling into disrepair and others being removed to be replaced by another building, due to the numerous systems that came later. The study aimed to identify the religious remains of the Turkish period in Sudan from 1821-1885 AD. The study aimed to identify the religious remains of the Turkish period in Sudan from 1821-1885 AD. The researcher used the historical, descriptive, analytical and comparative approach. The researcher came to several conclusions: The Ottoman Turks had a ready-made plan for urban planning and the style of religious buildings. The Turkish government was interested in building mosques and refuges and inviting and mentoring sheikhs to consolidate the foundations of the Islamic religion and the Sunni approach in Sudan and to gain the trust of the people. The Turkish government treated citizens according to the principle of religious freedom and therefore built churches for foreigners who settled in Sudan.

مقدمة:

إن التاريخ الحضاري للسودان ملئ بالأحداث التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، عبر الحقب المختلفة وخلال هذه الفترات مر السودان بعدة تغيرات خضع خلالها لعدة أنظمة حكومية منها ما هو محلي وأخرى خارجية أتت عن طريق الاستعمار. وتعتبر هذه الفترة بداية تاريخ السودان الحديث، حيث تم إخضاع السودان تحت إدارة مركزية موحدة لأول مرة في تاريخه ويعد أساس وحدة السودان اليوم. وبقيت النظم والتقاليد الإدارية تتوارثها أنظمة الحكم المتعاقبة في السودان، مثل تقسيم المديرية والجيش المركزي، والجهاز الحكومي والديواني.

حكمت الدولة التركية باسم الإسلام. فلذلك فمنذ البداية حاول الأتراك إنشاء المساجد من أجل إقامة الشعائر الدينية والذكر؛ وذلك في كل مدينة أو قرية يسيطروا عليها. ولقد ألحقت بهذه المساجد خلاوي

لتحفيظ القرآن وقد بدء التعليم بشكل رسمي في هذه الفترة. ففي البداية كانت هناك دروس لعلوم القرآن ثم أضيفت العلوم الأخرى وقد كانت هناك دور لتحفيظ القرآن للنساء تقوم به حافظات من مصر. وتم فتح المدارس فيما بعد. وقد اشتهر العهد التركي بنشاط صوفي ملحوظ كثرت في عهده الطرق وتوسعت وأزداد عدد مريدها فمن الطرق التي كانت سائدة حينها وظلت حتى اليوم (الطريقة القادرية لصاحبها الشيخ العبيد ود بدر، أم زوياً بان محمد شريف نور الدائم) وقد كان للطريقة القادرية السمانية رواجاً في كسلا ودنقلا ودار الشايقية. وقد اتبعها بعض الناس من خارج السودان مثل أناس من ارتريا والصومال وأثيوبيا ومصر. والطريقة التجانية التي جاءت إلى السودان من مراكش لمؤسسها احمد بن محمد المختر التجاني وأتت إلى السودان في أواخر العهد التركي كما دخلت الاحمدية والرفاعية وغيرها من الطرق.⁽¹⁾

مع العلم بأن هذه الطرق جميعاً تندرج تحت عنوان الطرق الصوفية وهي موجودة في السودان قبل هذه الفترة، بل من قبل حلول العهد الفونجي المعروف بصوفيته. فقد دخل هؤلاء العلماء والشيخو فرادي وجماعات من أجل نشر الإسلام على حد قولهم. وقد واجهت هذه الطرق بعض المعارضات من الحكام الأتراك بحكم أن الأتراك يتبعون المنهج السني، ولكن كانت لديهم مكانتهم في الدولة ولم تتركهم الحكومة أحراراً كما كان في العهد الفونجي. وتتكون العمارة الدينية في السودان من المساجد والخلوي والقباب والأضرحة والكنائس

المساجد والخلوي:

لقد ارتبط التعليم في فترة الحكم التركي بالخلوي ولقد كانت الخلوي منتشرة في جميع أنحاء السودان. وكانت أسماء معاهد التعليم مختلفة المسجد الجامع، الخلوة، والمكتب، والمدرسة. وكانت للمساجد عدة أدوار فنجد أن المسجد للصلاة والذكر كما يمثل مدرسة يتم فيها تدريس القرآن الكريم وعلومه وبهذا وظيفته شبيه بوظيفة الخلوة. كما يتم تدريس بعض العلوم في المسجد وكان ذلك قبل افتتاح المدارس. كما نجد الخلوة والمسجد اللذان ارتباطا بتحفيظ القرآن (الخلوة: لتحفيظ القرآن، المسجد للسكن والإيواء).⁽²⁾

تعريف الخلوة:

نجد أن الخلوي هذه الفترة كانت عبارة عن حجرات من الطين مربعة الشكل أو مستطيلة، سقفها من القصب والإقسان يحيط بها سور من القصب وفروع الشجر وبجوارها توجد رواكيب الحيران «أي التلاميذ والفقهاء» وكان الشيخ يجلس للدرس على العنقريب أو على الأرض فوق الفروه أو البرش، ويجلس التلاميذ حوله في حلقة على الأرض مفروشة أو غير مفروشة. ومن المساجد أو الخلوي ما يدرس فيها القرآن فقط ومنها ما يدرس فيه العلم فقط والأغلب ما يدرس فيها الاثنين معاً. ويبدأ التعليم عادة بحفظ القرآن وقراءة بعض أحكامه، ثم يرتحل المتعلم إلى دراسة علوم الدين في مسجد أو خلوة أخرى أو في نفس المسجد⁽³⁾ وتعد الخلوة أيضاً مكاناً للتعبد والذكر والصلاة كما أنها مكاناً للضيافة ومحط رحال المارة وعابري السبيل. ويتم التعليم في الخلوة مجاناً وينفق على الحيران من دخل الشيخ وماله والهبات والندور التي تقدم له. وفي كل مسجد أنشأ الأتراك الحقوبة مدرسة للتعليم وأول مسجد أدخل فيه نظام التعليم هو مسجد الخرطوم ومن أهمها خلوة صباحي وخلوة الفكي محمد ود أدريس وهو محسي في جزيرة توتي والخلوة الملحقة بمسجد أرباب العقائد.⁽⁴⁾

وقد تم بناء عدد من المساجد في الفترة التركية في السودان لتشجيع التلاميذ على قراءة القرآن ونشر الوعي الإسلامي في البلاد. (كما أنشئ الحكام الأتراك رواقاً للسودانيين في الأزهر باسم رواق السنارية ورواق دارفور ورواق البرابرة) وقد تخرج منه عدد من الشيوخ مثل الشيخ أحمد ود عيسى صاحب مسجد ود عيسى بالجزيرة. وقد كانت الحكومة التركية تتفق على الخلاوى والمساجد وطلبة العلم ومن المساجد التي يعود تاريخها لفترة العهد التركي في السودان مسجد الخرطوم الذي هو أول مسجد ابتداء فيه تدريس القرآن وعلومه. ومن المدارس القرآنية المشهورة في هذا العهد الخلوة الملحقة بمسجد الشيخ الزين ببلدة أكد شمال حفير مشوو وقد ذكر د. محمد فتح الرحمن في كتابه (العمارة الإسلامية بمحلية مروى) أن خلوة الشيخ أحمد محمد صالح العراقي أنها أسست في 1823م في المسجد الذي خصص لموظفي الإدارة التركية في منطقة مروى شرق.

من المساجد مسجد كلسير بالزوراب، ومسجد إبراهيم بأرقو ومسجد أحمد ديرى بالمنتقو ومسجد الحاج شريف حامد جد الأمام المهدي ثم مساجد الدواليب في الدبة ومساجد الدفارية في قشاي وفتني ومساجد كل من علي حاج سعيد والشيخ ود حاج نوري بدار الشايقية ومساجد العراقياب بالشايقية. (5) ونجد في وسط السودان مسجد الشيخ الجعلي ومسجد المجاذيب بالدامر ومسجد الكتاب ومسجد العمراب أولاد حامد أبو عصا، ومسجد الفادنية بقوز نعيم ومسجد الجوير ومسجد أبناء الشيخ احمد الطيب في طابت الجزيرة، ومسجد الشيخ السني في جزيرة توتي ومسجد الشيخ إدريس ود الأرباب في العليفون. ومسجد محمود ود بدر بام ضوء بان ومساجد العركيين في طيبة والشيخ محمد الأمين في بحلة نور على نهر الرهد (قرية ود الأبيض محلية أم القرى) وفي الأبيض مسجد الشيخ إسماعيل الولي. ومسجد الدواليب في خور موسي وفي شرق السودان مسجد الفقيه الأزرق المجذوب بالقضارف الذي أخذ عنه الشيخ محمد الخير شيخ المهدي. (6)

ونذكر من هذه المساجد على سبيل المثال لا الحصر بعض المساجد التي تعود لهذه الفترة وقد تم توثيق معلوماتها بشكل مفصل منها:

1. مسجد فاروق (مسجد أبا العقائد سابقاً)

تم بناء هذا المسجد قبل مجئ الأتراك للسودان عن طريق الشيخ أبا العقائد وقد ألحق به خلوة لتحفيظ القرآن قام الدفتردار بهدمه في إنشاء حملاته الانتقامية وأعيد بنائه 1862-1865م عن طريق موسى باشا حمدي بإنشاء مسجد حديث مكان المسجد القديم ومن ثم قام الملك فاروق بإقامة البناء على شكله الحالي والذي يعرف اليوم باسم مسجد فاروق وهو يعتبر أقدم مساجد الخرطوم. وهو يعتبر خلوة للتعليم أكثر من كونه مسجد، وذلك لقلّة المصلين فيه؛ فقد بقي لفترة طويلة مهتماً بسبب حملة الدفترداد وكان يصلي فيه سكان حي الترس لقربه منهم. (7) انظر صورة (2،1)



صورة رقم (1) مسجد فاروق (أرباب العقائد) 2023/1/7 Old Sudan Photos



صورة رقم (2) مسجد فاروق (أرباب العقائد) 2023/1/7 Old Sudan Photos

2. المسجد الخرطوم الكبير (المسجد العتيق، مسجد عباس سابقاً)

كانت بداية بناء مسجد الخرطوم 1829-1830م الذي يقع في وسط ميدان أبو جنزير غرب مقابر الأتراك وجنوب قصر الحاكم وشمال السوق. وكانت مادة بناء المسجد من الأجر المنقول من بقايا مدينة سوبا. وقد أضيفت إليه بعض الإصلاحات في عمارته عن طريق إسماعيل باشا أيوب في 1880م ثم هدمه باعتبار أنه لا يليق بعاصمة البلاد وبدء بناء مسجد آخر أوسع سماه غردون 1884م بجامع السودان ويحيط به ميدان. ويوجد به سبيل وتحيط به مجموعة من أشجار اللبخ ويتجه مدخله ناحية الكعبة وهو يعتبر الجامع الوحيد في الخرطوم طيلة فترة العهد التركي هو الجامع الكبير الذي يقع في السوق العربي حالياً.⁽⁸⁾ وقد تمت إعادة بناءه خلال فترة الحكم الثنائي 1902-1900م وبناءه مربع الشكل وله ثلاثة مداخل وبه عدد من الشبابيك المستطيلة من الخشب برخفة السبحة يعلوها أربعة مناور مستطيلة، ويعلو الجامع مئذنتان أحدهما من الناحية الجنوبية الغربية وأخرى من الزاوية الشمالية الغربية. والسور الخارجي للمسجد به أربعة أبواب وبه حلقات لدراسة القرآن صباحاً. (انظر صورة رقم(3))



(انظر صورة رقم(3) الجامع الكبير تصوير الباحثة من معروضات دار الوثائق السودانية 2022/9/6)

مسجد الفكي محمد بربير:

هذا المسجد مبني بالطوب اللبن وقد وجدت أجزاء من جدران المسجد في الجزء الجنوبي الشرقي وفي الجزء الغربي وجزء من الأعمدة الأربعة وتتصل به خلوة تسمى «مدرسة يوم الحساب» وبه غرفة خاص بالنساء وقد كان هذا المسجد مهتم لحظة إجراء العمل الميداني به من قبل دز صلاح عمر الصادق الله

يرحمه في مشروع بربر العبيدية 1978م، لم يبق منه سواء أجزاء من الجدران والأعمدة الأربعة مسجد السيد محمد بربر: نجد أن هذا المسجد قد تم تدميره نهائياً بواسطة النشاط الزراعي ولم يبق منه سوى الأساسات التي يمكن من خلالها معرفة خريطة المسجد.⁽⁹⁾

مسجد المفتي:

تم تأسيسه في 1823م لموظفي الإدارة التركية بمنطة مروى شرق والذي يبعد حوالي 35متر عن مبنى الإدارة التركية بمروى وقد عُين عليه الفقيه الشيخ أحمد العراقي مفتي منطقة نوري لذلك اطلق على المسجد اسم (مسجد المفتي) الي شيد من الطوب المحروق وهو مستطيل الشكل وله مدخلان من الشرق والغرب وتقع المتذنة في الاتجاه الجنوبي الشرقي ويرتكز سقف المسجد المكون من سيقان وجريد النخل على صفيين من الأعمدة على شكل قوس والتي يبلغ عددها 8 أعمدة التي استخدمت لتدعيم السقف وتبلغ المسافة بينها 2متر.⁽¹⁰⁾

مسجد المصرى الأثرى:

هو محمد المصرى القناوى قدم بلاد الفونج أول النصف الثاني من القرن العاشر في زمن عجيب المانجلك. قدم إلى بربر وقال هواؤها أطيب من جميع البلاد. و أقام أول مسجد للصلاة في المخيرف لتدريس العقائد و النحو و سائر العلوم و ولى القضاء و كان من العلماء و الفقهاء الذين نشروا العلم في بربر . تم تشييد المسجد في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجرى و كانت به خلاوى لتحفيظ القرآن. وقد تم استخدامه طيلة فترة العهد التركي المصرى تمت إعادة تشييد المسجد بواسطة حفيد محمد المصرى في العام 1935 م و ذلك بعد هجر المسجد بعد ترحيل سكان المنطقة بواسطة الخليفة عبد الله التعايشى . و قد إستمر إستخدام المسجد حتى العام 1977 م. (انظر صورة رقم(4)



صورة رقم(4) مسجد محمد المصرى تصوير د. محمود سليمان تقرير مدينة عطبرة القديمة

مسجد الشناوي:

تم بناء هذا المسجد بالقيف شرق الضابطيه بجزيرة سواكن ويعود تاريخ بناءه 1874م وقيل أوقف الجامع من إيرادات وكالة الشناوي بك.

مسجد الشافعي بجزيرة سواكن: يقع في الجهة الجنوبية للجامع الحنفي قام بترميمه محمد علي باشا 1836م وضم إليه قطعة أرض تقع شرقاً منه.(11).

مدينة الحجاج «بربر»:

هي المكان الذي يجتمع فيه الحجاج من كل مناطق السودان ووسط أفريقيا خلال فترة الحج حيث يسافرون منها عن طريق القوافل إلى سواكن ويعتبر طريق بربر هو الطريق الوحيد الآمن في ذلك الوقت ، ومن سواكن يعبر الحجاج البحر الأحمر إلى الأراضي المقدسة.

تعتبر المخيرف من العواصم القديمة منذ قبل العهد التركي منذ فترة الفونج 1504 وإتخذها الأتراك عاصمة و كانت مدينة الحجاج تستقبل الحجاج القادمين من غرب افريقيا و أنحاء السودان المختلفة في طريقهم إلى الحجاز حيث تسلك قوافل الحجيج طريق بربر سواكن القديم الذي يعتبر أقرب طريق بين النيل و البحر الأحمر.

حيث تتوفر بمدينة الحجاج بالمخيرف الجمال و خبراء الطرق الصحراوية. وتقع هذه المدينة عند الحافة الشرقية لمدينة بربر بداية طريق الشرق وظلت مستخدمة طيلة فترة التركيبة وهي مستطيلة الشكل مقسمة إلى غرف صغيرة يبلغ عددها ستون غرفة بنيت بالطوب اللبن، وهي الآن موجود بقاياها وزالت المدينة بعد ظهور القطار.(12) (انظر صورة رقم(5))



صورة رقم(5) جزء من مباني مدينة الحجاج تصوير د. محمود سليمان تقرير مدينة بربر القديمة

القباب والأضرحة:

أدى دخول الأتراك إلى السودان إلى التغيير في عمارة بناء القباب في السودان. فالقباب التي تم إنشائها في هذه الفترة اختلفت عن فترة الفونج من حيث الطراز المعماري ومن حيث الوظيفة فالقباب في

السودان يدفن فيها الشيوخ ومن يحذوا حذوهم أما في الدول العربية الأخرى يمكن أن تكون القبّة مسؤول إداري أو شخص مهم في المجتمع)، وأفضل مثال لذلك قبّاب بعض الحكمدارين الأتراك في وسط الخرطوم أبان فترة حكمهم في السودان⁽¹³⁾

تعريف القبّة:

القبّة (جمع قُبَاب وقُبْب) مصطلح عربي يشير إلى هياكل المقابر، وخاصة الأضرحة الإسلامية ذات القباب، حيث كلمة القبّة هي مرادفة لضريح⁽¹⁴⁾

فالقبّة هي بناء مستدير مقوس مجوف، وخيمة صغيرة أعلاها مستدير. في المصطلح الأثري المعماري فإنها بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها، أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج، ويتألف من دوران قوس على محور عمودي ليصبح نصف كرة تقريباً يأخذ مقطعها شكل القوس، وتقام مباشرة فوق مسطح أو ترتفع على رقبة مضلعة أو دائرية، أو على حنايا ركنية أو مثلثات كروية أو مقرنصات لتسهيل الانتقال من المربع إلى المثلث ثم إلى الدائرة. وهي أيضاً المبنى الذي يمثل مكاناً مقدساً يدفن فيه الولي أو الشيخ ويبني حوله سياج وتمثل حرماً آمناً وتتخذ اسم (البنية) فالقباب تمثل منازل تاريخية لرجال جاءوا بمعرفة العقيدة الإسلامية في فترة المتاهة الروحية.⁽¹⁵⁾

تعريف الضريح:

هو الحجر المشتملة قبر أو شاهد قبر تعلوه قبّة، وهو عبارة عن بناء تغطيه قبّة يقام على رفاة شخصية دينية (مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم) أو دنيوية (مقابر الحكام الأتراك) تدعو لتخليد ذكراه، ومن هذه الأضرحة المقببة عرف بمشهد ومقام وتربة أو مزار كمقصد يُزار ولا تختلف عمارة القباب في الأضرحة الإسلامية في الزخرفة وطريقة الإنشاء القباب المساجد كثيراً.⁽¹⁶⁾

فالشكل العام للقباب التي تعود للفترة التركية مربعة الشكل ومن الملاحظ أنها تختلف في أحجامها ومن حيث ارتفاعها وامتدادها على الأرض، كما يختلف ارتفاع الحائط المثلث، وصفها كالآتي:

عبارة عن مبني مربع الشكل يختلف من قبّة لأخرى ويوجد الحائط المثلث الذي يتراوح ارتفاعها ما بين 1.5 متر-3 متر، ويختلف ارتفاعه باختلاف القباب وتعلو الحائط المثلث قبه مخروطية يصل ارتفاعها من 6-9 أمتار والارتفاع الكلي ما بين 12-20 متر ويتم البناء من الطوب والأسمنت والضريح يكون في وسط القبّة المربعة.

أما القبر فهو عبارة عن مسطبة من الأسمنت يعلوها إطار خشبي مستطيل مغطى بقماش ملون. ويكون للقبّة باب واحد باتجاه الشمال مع نافذتين كما في قبّاب الأتراك وقبّة الشيخ عبدالله أبو رايات التي بنيت في هذه الفترة. وقد يدفن مع الشيخ أبناءه كما في عديد من القباب لهذه الفترة مثال لذلك فيه الشيخ العبيد ود بدر الذي دفن معه أبناءه فيما بعد.⁽¹⁷⁾

كما أن الأضرحة تختلف أيضاً من قبّة لأخرى من حيث الارتفاع من الأرض ويتراوح طوله من 2.5 متر-3 أمتار. ويتم طلاء القبّة من الخارج بألوان متعددة ما بين الأبيض والأخضر والأصفر. (وفي الأركان الأربعة توجد قبّاب صغيرة يعلوها كور، إضافة إلى القبّة الكبيرة التي تعلوها كور فوقها هلال). كما يتم طلاءها من الداخل ويطلّي الحائط المثلث. وفي الداخل توجد رايات وصندوق.⁽¹⁸⁾

ونجد أن القباب التي يعود تاريخها للفترة التركية ليست كثيرة جداً نذكر منها:
قبة الشيخ إبراهيم الكباشي الذي ولد في قرية الشيخ الكباشي وقد أسس خلاوي لتحفيظ القرآن وتكية لضيافة المريدين ومسيد لإيواء الطلاب كما قام ببناء عدد من المساجد والخلاوي في كل من الجزيرة إسلاخ وشمال الخرطوم والمسعودية وأتت والنوبة توفي عام 1869م وقد دفن في قرية الكباشي شمال الخرطوم بحري.⁽¹⁹⁾ وقد تم بناء قبه له على الطراز المعماري التركي تم طلاؤها باللون الأبيض وكانت تعلو القبة أربعة قباب صغيرة في الأركان تعلوها كرتين معدنيتين يعلوها هلال من المعدن أما الضريح كان من الخشب يغطي باللون الأخضر. كما توجد ثلاثة قباب أخرى لأحفاد الكباشي.⁽²⁰⁾

قباب الأتراك:

تعتبر قباب الأتراك من أهم المعالم الأثرية التي تمثل فترة الحكم التركي في السودان، وهي تمثل إحدى حلقات الاستمرارية لتطور بناء القباب في السودان. فهي تشكل الأولى من نوعها في السودان من حيث الطراز المعماري حيث تقوم على غرفة مربعة تتحول زواياها الأربعة إلى مئمن حتى تسمح بقيام القبة وهذا النوع من القباب يشبه قبة الشيخ عبدالله الحلنقي التي تم إعادة بناءها في الفترة التركية.
تقع قباب الأتراك شرق جامع الخرطوم الكبير وتضم هذه المقابر مقابر المصريين والسودانيين من الموظفين. وضمت القبة الشرقية أحمد أبوودان الذي توفي 25/10/1844م.⁽²¹⁾

وصف القبة الشرقية من الخارج:

تتكون القاعدة من مربع منحوت الزوايا ثم الجزء الثاني المقرب شبه دائري به أربعة شبابيك مفتوحة في الاتجاهات الأربعة، كما توجد بالاتجاهات الأربعة أشكال شبيهة بالمثلث في قمته عمود محدب الشكل، يوجد سبعة شبابيك وباب في الجزء الآخر وقد صنعت جميعها من الحديد. وصف القبة الشرقية من الداخل: الجزء الداخلي المقرب شبيه بالشكل المخروطي.

الضريح:

يوجد وسط القبة مغطي بالأسمنت في هيئة مسطبة والبناء من الطوب الأحمر والأسمنت. (22)

وصف القبة الغربية:

تضم رفاه الحكمدار موسي حمدي الذي توفي 16/3/1865م وآخرين من أسرته شكلها الخارجي مماثل للقبة الشرقية.

وصف القبة الغربية من الداخل:

يوجد بها محراب في الناحية الشرقية، وتوجد في الأركان الأربعة ثانياً تساعد في الانتقال إلى الجزء الثاني الشبيهة بالدائرة ثم الجزء المقرب. والقبة من الداخل مطلية باللون الأبيض، ويوجد بها ضريحان في وسط القبة، وهما في شكل مسطبة من الاسمنت. ونجد خارج القباب مقابر تضم رفاه كل من محمد بك راسخ مدير الخرطوم في الفترة من (1862_1859م) آدم باشا العريفي ضابط سوداني كان يعمل في الجيش المصري، والملاط باشا محمد ضباط سوداني كان يعمل في الجيش المصري وإبراهيم مرزوق كاتب مصري وآخرون. (23) (انظر صورة رقم 6،7)



صورة رقم (6) قباب الأتراك قبل الترميم 2023/1/7 Old Sudan Photos



صورة رقم (7) قباب الأتراك بعد الترميم تصوير الباحثة 2010م

وقد كان الدفن في هذه المقابر من قبل فترة العهد التركي قد سميت مقابر الخرطوم القديمة وتم الدفن أبان هذه الفترة على أطرافها، وحتى المكان الذي يقع به الجامع الكبير كانت كلها مقابر ولقد أثبتت الحفريات داخل المسجد الكبير أنه كان هناك عظام بشرية تخرج أثناء حفر أساس المسجد (24)

ضريح السيدة زينب والدة المهدي:

يقع هذا الضريح داخل الجزء الغربي من مستشفى الشعب الخرطوم وهو عبارة عن مقبرة مسطحة من الأرض محددة ببلاط قامت إدارة المستشفى بتغطيتها برملة حمراء مما أدى لإخفائه يعود تاريخه إلى

1870م وهو يقع داخل موقع مستشفى الخرطوم الذي ينتمي إلى فترة العصر الحجري الوسيط الذي قام بالتنقيب فيه أنطوني جون أركل في الفترة من (1948-1942م) وقد ذكر أركل في كتابه (Early Khartoum) أن هذا الضريح يقع في منطقة مقابر الخرطوم القديمة في الفترة من 1821_1885م وقد تم نقل بعض من هذه المدافن إلى مقابر فاروق.⁽²⁵⁾ وأول مدرسة حكومية تم افتتاحها في الخرطوم 1853م تم افتتاح مدرسة أخرى في بربر، دنقلا، كردفان، التاكا. وكانت مدرسة الخرطوم بها قسمين خارجي وداخلي الخارجي والقسم الداخلي مجاني نظامه عسكري، وبها خلوة من فصلين لتعليم القرآن، واستمرت مدرسة الخرطوم حتى فترات قريبة سقوطها وقد تحدث عنها غردون في يومياته.⁽²⁶⁾

الخاتمة:

تعد دراسة العمارة الدينية لفترة حكم الأتراك للسودان من أصعب الدراسات الأثرية وأكثرها تعقيداً؛ وذلك لتعدد الأنظمة التي تعاقبت على السودان مما أدى إلى إعادة بناء المباني الدينية (المساجد) وتغيير مادة البناء الأصلي وإزالة البعض الآخر دون أسباب واضحة، فرمما لبناءها عن طريق أيدي المستعمر (تدمير المهداويين لبعض المباني التي تم تشييدها في الفترة التركية). فرغم كبر وضخامة وأهمية الفترة التركية كواحدة من أكبر الفترات التاريخية الإسلامية التي مرت على السودان لم تجد حظها من الدراسة المفصلة الدقيقة من قبل الباحثين والمختصين؛ فرمما كان ذلك لوقوعها بين فترتين محليتين (مملكة الفونج وفترة الدولة المهديّة التي أطاحت بالحكم التركي) وربما لأن المواطنين اعتبرها دولة مستعمرة بغض النظر عن كونها دولة مسلمة.

النتائج:

1. أن الأتراك لديهم خريطة موضوعة مسبقاً لتخطيط المدن وقد اتضح ذلك من خلال دراسة المباني الدينية في مدينة الخرطوم عاصمة الحكم التركي والمدن التي استخدمت عواصم للمديريات.
2. عملت الحكومة التركية على بناء ما يخدم مصالحها في المقام الاول من المباني في السودان ومن ثم ما يخدم مصلحة المواطن.
3. اهتمت الحكومة التركية ببناء المساجد والخلواوي وجلب المشايخ والإهتمام بهم من أجل توطيد دعائم الدين الإسلامي والمنهج السني في السودان، إضافة إلى كسب ثقة الأهالي.
4. عاملت الحكومة التركية المواطنين بمبدأ حرية الأديان لذلك قامت ببناء الكنائس للأجانب الذين استوطنوا في السودان

التوصيات:

1. تكوين فريق عمل من المختصين في مجالات الآثار الإسلامية
2. عمل دراسات متخصصة في فنون وعمارة المساجد التي تم إنشائها في الفترة التركية ومقارنتها بمثيلاتها في الدول التي كانت تحت سيطرة الحكومة التركية.
3. يجب تنشيط وتفعيل دور الوحدة الخاصة بالدراسات التركية في الجامعات السودانية.

الهوامش:

- (1) جمال مصطفى علي، «القباب والافرحة في السودان»، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة، 2005م، ص، 37
- (2) المصدر نفسه، ص، 38
- (3) سيد أحمد أحمد، «تاريخ مدينة الخرطوم»، تحت الحكم التركي 1820-1885م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص، 300
- (4) المصدر نفسه، ص، 302
- (5) زيادة، محبوب، (الإسلام في السودان) الناشر دار المعارف المصرية 1960م، ص، 113
- (6) المصدر نفسه، ص، 113
- (7) سيد أحمد أحمد، «تاريخ مدينة الخرطوم»، تحت الحكم التركي 1820-1885م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص، 139. صلاح عمر الصادق، «الآثار الإسلامية في الخرطوم» دار عزة للنشر، 2014م، ص، 22
- (8) سيد أحمد أحمد، «تاريخ مدينة الخرطوم»، تحت الحكم التركي 1820-1885م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000م، ص، 139
- (9) صلاح عمر الصادق، «المواقع الأثرية في السودان»، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة الشريف الأكاديمية، 2006م، ص، 186
- (10) محمد فتح الرحمن أحمد «العمارة الإسلامية بمحلية مروية» 2012م، ص، 147_149
- (11) محمد صالح ضرار «تاريخ سواكن والبحر الأحمر، بدون تاريخ، ص، 32
- (12) صلاح عمر الصادق، «المواقع الأثرية في السودان»، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة الشريف الأكاديمية، 2006م، ص، 190. تقرير لكتور محمود سليمان عن مدينة بربر القديمة
- (13) صلاح عمر الصادق، «الآثار الإسلامية في الخرطوم» دار عزة للنشر، 2014م، ص، 60
- (14) عاصم محمد رزق، «معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية»، الطبعة الأولى القاهرة مكتبة مدبولي 2000م، ص، 174
- (15) صالح احمد الشامي، «الفن الاسلامي التزام وابداع» ط1 دمشق سوريا 1990م، ص، 20
- (16) عاصم محمد رزق، «معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية»، الطبعة الأولى القاهرة مكتبة مدبولي 2000م، ص، 174
- (17) صلاح عمر الصادق، «الآثار الإسلامية في الخرطوم» دار عزة للنشر، 2014م، ص، 58: جمال مصطفى علي، «القباب والافرحة في السودان»، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة، 2005م، ص، 117
- (18) جمال مصطفى علي، «القباب والافرحة في السودان»، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة، 2005م، ص، 118
- (19) المصدر نفسه، ص، 119
- (20) صلاح عمر الصادق، «الآثار الإسلامية في الخرطوم» دار عزة للنشر، 2014م، ص، 44
- (21) المصدر نفسه، ص، 59

- (22) صلاح عمر الصادق، «المواقع الأثرية في السودان»، الطبعة الأولى، الناشر مكتبة الشريف الأكاديمية، 2006م، ص، 31
- (23) المصدر نفسه، ص، 33
- (24) المصدر نفسه، ص، 33
- (25) صلاح عمر الصادق، «الآثار الإسلامية في الخرطوم» دار عزة للنشر، 2014م، ص، 75
- (26) المصدر نفسه، ص، 303، 304